I.F.A.O.
1998

الجزء الثالث والرابع — المجلد السابع عشر

مجلة المجمع العلمي العربي

آذار ونيسان ١٩٤٢ — ربيع الأول وربيع الآخر ١٣٦١

الشاميون والتاريخ (١)

كان من اهم العوامل في ولوع العرب بالتاريخ منذ كان الاسلام حرصهم على الانتفاع بالصحيح من احاديث رسول الله ﷺ وكما كثر الوضاعون والكذابون والضعفاء من ادعياء الحديث زاد العلماء عناية بالرجال ، متوخين في التعريف بهم الطرق التي ابتكروها في معرفة صحيح الحديث من سقيمه والمبالغة في جرحه وتعديله . قال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ ، وقال حسان ابن زيد لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ . ورأينا المؤرخين في القرون الثلاثة الاولى من البعثة يجرون في نقل الاخبار والآثار على طريقة المحدثين بالسند والرواية المتقنة ، بحيث يتيسر لطالب التاريخ ان يعرف من الاطلاع على رواته مبلغه من الضعف والقوة ، وقلما كان المؤرخون يتفلسفون في التاريخ السياسي وتراجم الرجال

واتفق ان نزل في الشام منذ الفتح اناس من كبار الصحابة وحلوا في حواضرها ونشروا حديث الرسول بين اهلها ، وتميز رواة الشاميين بفرط العناية بخدمة فنهم وعلمهم وعلو اسنادهم ، فكان من ذلك بعد القرن الثاني ان نبغ مؤرخون عظام كانوا اوفر عدداً ممن نبغ من أمثالهم في الأقطار العربية الأخرى . فاذا قلنا ان الشام اخرجت محدثين ومؤرخين وشعراء مجيدين اكثر عدداً وأعظم أثراً ممن ظهروا في الأقطار الاخرى لا نكون الى الغلو . ولذلك كان طلاب الحديث يقصدون رواة

(١) القاها الاستاذ محمد كرد علي في ناديو فلسطين بالقدس يوم السبت ٦ رمضان ١٣٦٠ (ايلول ١٩٤١)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشاميين من الأقطار البعيدة ليأخذوا عنهم ما يهمهم ويصلوا سندهم بسندهم كما يقصد اليوم طلاب الراحة والنزهة جبال الشام ليصطافوا ويتنعموا .

يعد أول من دوّن التاريخ في الشام أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان (رض) فانه استدعى من اليمن أيام خلافته عبيد بن شَرْية الجرهمي ليحدثه بأحاديث العرب وأيامها وأمر ان يكتب عنه كل ما يقول كما أتى بأمد بن أبد الحضرمي من اليمن أيضاً يقص عليه أخبار ملوك العرب والعجم ، فكان ذلك أول تدوين للتاريخ في الاسلام بالشام . وقد أخذ عن عبيد كثيرون ومنهم علاقة بن عبد الكريم الكلابي من بني عامر بن كلاب أيام يزيد بن معاوية (رض) وعبيد هذا أحد من أُخذت عنهم المآثر ، وحدّث الناس بالمناقب ، على المثال الذي جرى عليه القصاص في التذكير بالمغازي والفتوح منذ جاء العرب فاتحين ، فكان في الجيوش القصاص يقصون على المحاربين في ساحات الوغى وفي المساجد والجوامع أحاديث من شأنها تقوية القلوب وجمعها على الطاعة للخليفة وآله ورجاله .

كان بعض ما يروى يدوّن في الأسفار منذ القرن الأول وفي القرن الثاني اشتدت العناية بالتدوين كثيراً . وممن أثر عنهم انهم كتبوا في التاريخ عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي البيروتي (المتوفى سنة ١٥٧) نقلت عنه رسائل سياسية وغيرها وكان مع فقهه وانتشار مذهبه في الأقطار يعدّ كاتباً لا يجارى . وما بقي في الكتب من كلامه يدل على عقل راسخ ومعرفة بطبائع الامة والدول ، ويشهد له ببعد النظر في السياسة . واشتهر في هذا القرن الوليد بن مسلم الأموي (١٩٤) عالم أهل دمشق صنف التصانيف والتواريخ . قال الذهبي وعني بهذا الشأن أتم عناية وكان بارعاً في حفظ المغازي كما اشتهر مكحول عالم أهل الشام واسمه ابو عبد الله ابن مسلم الهذلي (١١٣) .

ولم يصلنا من أخبار أصحاب هذا الشأن سوى أخبار بعض من اشتهروا لقربهم من السلطان ، وقربهم منه يهيئ لهم سبيل الوقوف على الحقائق . ونبغ في القرن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثالث محمد بن عائذ صاحب المغازي والفتوح والصوائف (٢٣٣) او (٢٣٤) وكان ولي خراج الغوطة في أيام المأمون والغالب ان كتاب الملوك وأخبار الأمم والمغازى من تأليفه وكذلك محمود بن سميع (٢٥٩) صاحب الطبقات . واشتهر ابو مسهر عبدالاعلى الغساني الدمشقي بمعرفة أيام الناس وأنساب الشاميين (٢١٨) وكان راوية لسعيد بن عبد العزيز التنوخي وغيره من أهل الشام .

وولد في الرقة محمد بن عبد الله بن أحمد ونشأ في مصر ومن كتبه التاريخ على السنين وتاريخ الصحابة . وقام حافظ الرقة علي بن سعيد القشيري الحراني (٣٧٧) وله تاريخ الرقة ، وجاء غيره ولكن لم تصلنا أسماؤهم . وفي القرن الرابع قام الحافظ شمس الدين ابو الحجاج يوسف الدمشقي (٣٥٤) وله تاريخ وجاء في هذا القرن المطهر بن طاهر المقدسي صاحب البدء والتاريخ المطبوع ، ومحبوب بن قسطنطين المنبجي وله كتاب في التاريخ ومحمد بن احمد بن أبي بكر البناء المقدسي (بعد سنة ٣٧٥) الجغرافي الرحالة صاحب أحسن التقاسيم جاء كتابه في التاريخ والجغرافيا .

ومعظم ما كتبه أهل القرون الأربعة الاولى دخل في الكتب التي وضعها المؤرخون في القرون التالية على ما نرى ذلك ظاهراً في تاريخ دمشق لابن عساكر وغيره من الكتب المبسوطة ، يروونها عنهم ويعتمدون على رواياتهم .

ومن مؤرخي القرن الخامس ابو الخير مبارك بن شرارة الطبيب الكاتب الحلبي النصراني كان له جرائد مشهورة بحلب عند أهلها يحفظونها لأجل الخراج المستقر على الضياع وله تاريخ حلب توفي في حدود سنة ٤٩٠ وقام ابو غالب همام بن الفضل بن المهذب صاحب التاريخ المشهور وهو من تلامذة ابي العلاء المعري .

ومفخرة مؤرخي الشام في القرن السادس الحافظ ابن عساكر (٥٧١) فانه وضع تاريخ دمشق في ثماني مائة جزء تدخل في ثمانين مجلدة وذيل عليه ولده القاسم ولم يكمل ، وذيل عليه صدر الدين البكري وعمر بن الحاجب . ومن هذا القرن بدأت العادة بأن يذيل الخلف على ما وضعه السلف من التواريخ . ولتاريخ ابن عساكر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مختصرات منها ما اختصره ابو شامة الدمشقي (٦٦٥) وهو مختصران صغير و كبير ، وذيل عليه الحافظ علم الدين البرزالي (٧٣٨) وذيل عليه حمزة بن أسد ابو يعلى بن القلانسي وتاريخه مطبوع . وممن اختصر تاريخ ابن عساكر القاضي جمال الدين محمد بن مكرم صاحب لسان العرب (٧١١) والذهبي والعيني (٨٥٥) وانتقى منه السيوطي وغيره .

وهكذا الحال في تاريخ حلب فان كمال الدين ابن العديم (٦٦٠) اول من كتب في تاريخ حلب بعد مبارك بن شرارة قال اليونيني في الذيل انه يكون بياضه في اربعين مجلداً ثم ذيله الجبريني الشهير بابن خطيب الناصرية (٨٤٣) وسماه الدر المنتخب وذيل عليه الحافظ ابن حجر (٨٣٦) ثم ذيله ابو ذر الشهير بسبط ابن العجمي (٨٨٤) وسماه كنوز الذهب وهو ذيل المنتخب والذيل على كنوز الذهب المسمى بدر الحبب لابن الحنبلي (٩٧١) ولابن حبيب الحلبي (٨٠٨) تاريخ منتزع من تاريخ ابن العديم سماه حضرة الندیم من تاريخ ابن العديم ، ومن تواريخ حلب معادن الذهب لابن ابي طي يحيى بن حميدة (٦٣٠) وله طبقات العلماء وشعراء الشيعة ، ومعادن الذهب في الأعيان الذين تشرفت بهم حلب لابن عمر العرضي ، ومن تواريخ حلب كتاب ابي عبد الله محمد بن علي العظيمي ، وأخبار الدول لبدر الدين حسن ابن عمر بن حبيب الحلبي (٧٧٩) .

وفي القرن السادس كتب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (٥٩٦) تاريخه مرتباً له على السنين وهو من المفقود ، وفيه قام محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧) صاحب التصانيف والتعاليق . والعماد الكاتب صاحب الفتح القدمي والخريدة . وابن شداد صاحب سيرة صلاح الدين .

وكثر في القرن السابع عدد المؤرخين فقام فيه عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي ثم الدمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٨) وكتب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وذيل هو عليه وذيل عليه بعده الحافظ البرزالي سماه المقتفي وذيل عليه ابو بكر بن قاضي شهبة وكل هذه الذيول في مجلدات . وقام في القرن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السابع أيضاً ابن ابي أصيبعة الدمشقي (٦٦٨) فكتب طبقات الأطباء وقام في حلب ابن القفطي (٦٤٦) فكتب أخبار الحكماء وقام في طرابلس ابو الفرج بن العبري (٦٨٥) صاحب مختصر الدول ، ولابن عنين الشاعر (٦٣٠) تاريخ العزيزي . وجاء فيه ابن منقذ صاحب كتاب الاعتبار ويعد في الشاميين ايضاً ياقوت الحموي (٦٢٦) صاحب المعجمين (معجم البلدان ومعجم الادباء) وغيرهما لأنه نشأ في الشام ومات فيه ونبغ في هذا القرن جمال الدين بن واصل الحموي (٦٩٧) وله كتاب مفرج الكروب في دولة بني ايوب ، ولأحمد بن ابراهيم الحنبلي كتاب اسمه شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، ومن المؤرخين فيه شهاب الدين بن أبي الدم الحموي له التاريخ المظفري في الملة الاسلامية وقع في ستة مجلدات . والحافظ النووي وله طبقات الشافعية وتهذيب الاسماء واللغات .

ومن أقدر رجال التاريخ في هذا القرن ابن خلكان (احمد بن محمد بن ابراهيم) (٦٨١) صاحب وفيات الأعيان و كتابه من الكتب المنقحة الخالدة لا يستغني عنه باحث .

* * *

كان القرن الثامن من أبرك العصور على التاريخ في الشام قام فيه جلة المؤرخين الذين لا يستغني اليوم أحد عما خطته أناملهم ودونته في الصحف ، منهم الحافظ الذهبي (٧٤٨) صاحب تاريخ الاسلام وقد جاء في اكثر من عشرين مجلداً وسير النبلاء وهو في بضعة مجلدات ودول الاسلام والمشتبه والعبر وقضاة دمشق وطبقات القراء وله ذيل على كل منها . وذيل على العبر ابن شهبة في ست مجلدات كبار وقام فيه علم الدين البرزالي (٧٤٠) وعماد الدين بن كثير (٧٧٤) ، وجمع أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم بين رجال الحديث والحوادث فتقيل أثره ابوشامة في الروضتين والذيل عليه والبرزالي في الذيل والذهبي ، وعماد الدين بن كثير في البداية والنهاية قالوا وقد صار الاعتماد بعدهم في مصر والشام في نقل التواريخ عن هؤلاء الحفاظ الثلاثة البرزالي والذهبي وابن كثير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٧٢٨) الدمشقي ، وقل أن كتب لأحد مثله من الأعلام استخراج عبر التاريخ اللهم الا أن يكون ابن حزم الأندلسي فان كتبهما تنم عما رزقا من معرفة ثاقبة في التاريخ الديني والمدني . أما ابن خلدون فصاحب الشأن الاول في فلسفة التاريخ .

وفي هذا القرن كان محمد بن محمود بن اسحق القدمي (٧٧٦) صاحب تاريخ القدس ، وتواريخ القدس التي كتبت بأيدي المقادسة في عصور مختلفة كثيرة منها اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى وانس الجليل بتاريخ القدس والخليل والجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى ، وباعث النفوس الى زيارة القدس المحروس ، وفضائل بيت المقدس ، وفتوح بيت المقدس ، ومثير الغرام الى زيارة القدس والشام . وللملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب صاحب حماة المضمار في التاريخ وله طبقات الشعراء . وقام في هذا القرن احمد بن فضل الله العمري الدمشقي (٧٤٩) صاحب مسالك الابصار والتعريف بالمصطلح الشريف ، وهو آية من آيات الله في السياسة والتاريخ والادب وكثرة العلم . ونبغ الصلاح الصفدي (خليل بن ايبك) (٧٦٤) صاحب الوافي بالوفيات وفيه خمسة عشر الف ترجمة وقد جود فيه من وراء الغاية ، وله مقدمة لايكاد يعرف لمؤرخ ما يدانيها كما انه وضع كتاب نكت الهميان وجود في مقدمته ما شاءت له الاجادة الى غير ذلك من تآليفه .

ونبغ أيضاً الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة (٧٣٢) مؤلف التاريخ المعروف ومحمد الاكمل بن مفلح (٧٦٤) ومحمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤) صاحب الذيل على وفيات الأعيان لابن خلكان سماه فوات الوفيات وله كتاب عيون التواريخ . وقام أيضاً عمر بن الوردي (٧٤٩) او (٧٥٠) وقام ابن ابي العشائر (٧٨٩) والف تاريخ تنسرين وكانت قنسرين مثل كفرطاب والمعرة مثابة علم وادب كما كانت طرابلس على عهد بني عمار ، وحلب أيام سيف الدولة بن حمدان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجاء القرن التاسع فقويت ملكة المسخ والنسخ والسلخ في المؤرخين ، ومع ذلك لم يخل هذا القرن والقرن الذي بعده من محققين انقنوا فنهم ، وعملوا له بعيدين في الجملة عن مؤثرات الامراء والملوك ، ومنهم ابو بكر احمد بن قاضي شهبة صاحب الطبقات وغيره (٨٥١) والحافظ احمد بن علاء الدين حجي الحسباني الدمشقي صاحب كتاب الدارس في أخبار المدارس ، ولعله الأصل لكتاب النعيمي في الدارس وله ذيل على تاريخ ابن كثير . وقام ابن الجزري (٨٣٣) فكتب طبقات القراء ، واحمد بن عربشاه ، فوضع عجائب المقدور في أخبار تيمور وكتب ابراهيم البقاعي في الرجال . وخليل بن جمال الدين الدمشقي عدة مصنفات في التاريخ (٨١٥) ومحمود العيني (٨٥٥) له عدة مصنفات في هذا الفن ، واحمد المقدسي المشهور بابن زوجة ابي عذيبة (٨٥٦) صاحب تاريخ دول الاعيان ، واحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢) صاحب الدرر الكامنة وانباء الغمر في ابناء العمر وعلاء الدين بن خطيب الناصرية الحلبي (٨٤٣) وزين الدين بن الشحنة الحلبي (٨٢٥) ومحمود بن الشحنة (٨٩٠) صاحب الدر المنتخب في تاريخ حلب . وصالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت (اواسط التاسع) .

وجاء القرن العاشر فنبغ في دمشق يوسف بن عبد الهادي (٩٠٩) وهذا على كثرة تآليفه عانى ناحية مهمة من التاريخ وهي تاريخ العمران ، فكتب في الجوامع والمساجد والحمامات والخانات وغيرها ، وجاء يطرس على أثره عبد القادر النعيمي (٩٢٧) الف في تاريخ مدارس دمشق واختصر عبد الباسط العلموي بعض كتبه وزاد عليها ، وجاء ابن سكيكر الدمشقي (٩٨٧) وله كتاب زبدة الآثار فيما وقع لجامعه في الاقامة والاسفار وجاء محمد بن يوسف الباعوني ومؤلفاته اراجيز تاريخية كمؤلفات عمه . ونشأ بدر الدين الغزي المؤرخ (٩٨٤) في دمشق وعبد الرحمن ابن فرفور الدمشقي (٩٩٢) ورضي الدين الحنبلي (٩٧١) صاحب تاريخ حلب ، ومن أعظم مؤرخي دمشق في هذه الحقبة ابن طولون الصالحي (٩٥٣) كتب كتاباً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سماه ذيل التتبع بالاقران وذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر وغيرهما كثير في الخطط والآثار والتاريخ على اختلاف ضروبه . وجاء حمزة بن احمد الفقيه العاليهي (نسبة لعاليه) المعروف بابن سباط (٩٢٦) وكتب تاريخاً في الرجال

وختم هذا القرن بالمؤرخ شرف الدين موسى بن يوسف بن ايوب الدمشقي (١٠٠٠) القاضي وله تاريخ في مجلد وتذكرة في مجلدين وغير ذلك .

وما خلا القرن الحادي عشر من مؤرخين محققين في الجملة منهم النجم محمد الغزي (١٠٦١) صاحب الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة وذيله واحمد بن سنان القرماني (١٠١٩) صاحب آثار الدول وعبد الكريم الطاراني (١٠٤١) والحسن البوريني (١٠٢٤) له تراجم الأعيان في ابناء الزمان واحمد الصفوري (١٠٤٣) وابن العماد (عبد الحي) (١٠٨١) صاحب شذرات الذهب المطبوع . ونور الدين بن برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية (١٠٤٤) وتقي الدين التميمي (١٠١٠) صاحب تراجم الحنفية ، واحمد بن محمد الخالدي الصفدي صاحب تاريخ الأمير فخر الدين بن معن .

وظهر في القرن الثاني عشر محمد امين المحبي (١١١١) صاحب خلاصة الاثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر والدويهي صاحب تاريخ الطائفة المارونية (١١١٦) ومحمد الغزي المؤرخ النسابة (١١٧٦) وعبد الله البصروي (١١٧٠) ومحمد بن عيسى بن كنان (١١٥٣) ومكاريوس الحلبي صاحب الرحلة الى القسطنطينية وبلغاريا وروسيا . وابو المواهب بن ميرو الحابي (المتوفى قبل المئتين بعد الألف) وابن شاشة (بعد سنة احدى عشرة ومائة وألف) .

وفي القرن الثالث عشر كان المرادي صاحب سلك الدرر (١٢٣٢) والشدياق (١٢٧٦) صاحب أخبار الأعيان في جبل لبنان ومشاقة والامير حيدر احمد الشهابي (١٢٥١) وكمال الدين الصمادي (١٢٠٩) وكمال الدين الغزي صاحب التذكرة الكمالية (١٢١٤) ونقولا الترك صاحب تاريخ حملة الفرنسيين على مصر والشام ومحمد ارسلان صاحب التاريخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي القرن الرابع عشر الأخير قام مؤرخون مختلفة جدا درجات معارفهم ومذاهبهم منهم فانديك وبورتر ولامنس من الغربيين المقيمين في الشام ومنهم أناس من اللبنانيين والدمشقيين والحلبيين والفلسطينيين كرفيق العظم ورشيد الدحداح ويوسف الدبس ونوفل نعمة نوفل وبطرس البستاني واسكندر ايكاريوس وسليم شحادة والجزائري وجرجي زيدان وشيخو والبرغوثي وطوطح والغزي والطباخ ومخلص والصابوني وبني واليطار والقاسمي والبحري ومعلوف وشقير والزين وألوف وغيرهم .

سيداتي سادتي !

ربما لاحظتم من مجرى هذا الحديث ان معظم من نشأوا من المؤرخين في الاسلام كانوا من أبناء دمشق وممن سكنوا دمشق ، والسبب في ذلك ان مادة التاريخ ، الناس والجماعات والحكومات والمواصلات ، وهذه الامور لا تكون في غير العواصم ، وعاصمة الديار الشامية (دمشق) واذا قلنا الشام فهي البلاد الواقعة بين العريش او رفح ونهر الفرات وشبه جزيرة العرب من الجنوب وهذا مصطح للعرب ساروا عليه منذ حلت ركابهم في هذا الوطن العزيز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net